

الفصل الثاني التجربة الشعرية

- مفهوم التجربة عند النقاو .
- عوامل مؤثرة في التجربة .
- تطور مفهوم الشعر في القرن العشرين .
- مفهوم الشعر عند ريس الفيل .
- موقفه من التراث والحداثة .

Obeyikanda.com

التجربة الشعرية

مفهوم (التجربة الشعرية) عند النقاو :

" إن قصيدة ما يكتبها شاعر لا بد أن يكون لها ماض شعورى فى نفسه ..
والماضى يثار بكل مكوناته فى لحظة ، والشاعر يملك القدرة على التقمص
وإسترجاع التجربة الشعورية بنفس حرارتها ولو مرت عليها سنون طويلة " (١)
والعجرب: هى الانفعال الذى عاشه الشاعر تجاه موضوع سواء عاناه بنفسه
أو بماناه غيره وعبر عنه فى مضمون جيد وأسلوب أدبى ، وهى فيما يراه الدكتور
غنىمى هلال " الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التى يصورها الشاعر حين يفكر
فى أمر من الأمور تفكيراً ينم عن عميق شعوره وإحساسه ، وفيها يرجع الشاعر إلى
اقتناع ذاتى وإخلاص فنى والتجربة الشعرية يستغرق فيها الشاعر لينقلها
إلى ' عى ' ، دق ما يحيط بها من أحداث العالم الخارجى " (٢) . وفيما يراه الدكتور
إبراهيم أبو الخشب " أن يرتبط الشاعر بما يقول ارتباطاً وجدانياً عميقاً ، ينبى عن
له م ، وامتزاجه به وفنائه فيه عقلياً وفكرياً وشعورياً . (٣)

المفهوم قريب إلى حد كبير من المفهوم الذى ذكره الدكتور أحمد هيكل
حينف " إن التجربة الشعرية هى ما يجده الأديب فى نفسه من عاطفة جياشة
ين - عن بها قلبه ، أو بسرة طاعة يعتدل بها عقله ، أو قضية حية يزدحم
بها وجدان " (٤)

- ١- د.كمال نشأت: فى نقد الشعر الهيئة المعلمة لقصور الثقافة ١٩٩١ ، سلسلة كتابات نقدية ، عدد ٧ ، ص ٣١ .
- ٢- د. محمد غنىمى هلال : النقد الأدبى الحديث ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٣٨٢ .
- ٣- د.إبراهيم على أبو الخشب : فى محيط النقد الأدبى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ ص ٢١٣ .
- ٤- د أحمد هيكل فى الأدب واللغة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ١٩٨٨ ، ص ١٥ .

ومن خلال المفاهيم السابقة للتجربة يتبين لنا أن أبة تجربة شعرية تتكون من مجموعة عناصر هي ،

١- الوجدان : وهو مجموعة الأحاسيس والمشاعر التي تجعل للشعر مكانته فتنهفوله القلوب ، وتهتز له النفوس ، وهذه الأحاسيس والمشاعر كما يرى الدكتور شوقي ضيف من " أهم العناصر في قصيدة ، أو في التجربة الشعرية ، إذ هي المفتاح الذي يسقط منه النغم " (١)

٢- العقل أو الفكر : ويتمثل في الخواطر والأفكار التي يبدئها الشاعر في موضوع تجربته ، إذ لا يخلو أى عمل فنى من آثار العقل والفكر ، وأهميته ترجع إلى صيانة التجربة من الخلط والاضطراب ، ويعمل كذلك على زيادة العمق الفنى للتجربة " ولولاه لكانت خليطاً مضطرباً لا تسوده وحدة ولا يسوده نظام ، فهو الذى يؤلف بين شئتيها ، ويجمع بين منثورها ويكون بناءها حقاً " . (٢)

٣- الصياغة الشعرية : وهى تعمل على امتزاج الفكر بالعاطفة " والقيمة الفنية للقصيدة هى فى تواؤم تجربتها الشعرية مع صياغة هذه التجربة " وإذا كان أسلوب الصياغة الشعرية بمثابة الجسم فى القصيدة فإن التجربة بمثابة الروح ، فإذا كان الجسم قريبا ، أضفى على الروح قوة وجمالاً " . (٣)

١- د. شوقي ضيف : فى النقد الأدبى ، دار المعارف ، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٦٢ ص ١٤٦

٢- المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

٣ - مصطفى السحرى : الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مطبعة المقطف والمقطف ١٩٤٨ ، ص ٢٥ ، ٤٥ .

ولكل عنصر من هذه العناصر السابقة أثره وقيّمته فى التجربة ، لأنها ليست وجداناً فقط ، أو فكرياً فحسب ، وإنما هى امتزاج الوجدان والفكر معاً ، فإنما اعتمدت على الفكر المحض فقدت روح الشعروحداء ٤ ، وإنما اعتمدت على الشعور المحض فقدت قيمتها وتأثيرها ٥ ومعنى ذلك ، أن التجربة الفنية ينبغى دائماً أن تكون تجربة نفسية للعقل عمل فيها ، ولكن بشرط أن لا يخرجها من عالمها : عالم الرؤى والأحلام والصور الطريفة ٦ ولعله من أجل ذلك كان الخيال عنصراً مهماً فى التجربة الشعرية ؛ لأنه يساعد على تمام الحلم واكتماله ، وبمقدار ما يجعلنا الشاعر نحلم تكون قيمة قصيدته ، إذ يخرجنا من عالمنا الحقيقى إلى عالمه النفسى ٧ . (١)

وتكتسب التجربة عنصر الثبات والخلود إذا توفّر لها الصدق الوجدانى وعمق الفكر وأصالته ٨ لكن ينبغى ألا نفهم هذا الجانب الفكرى من خلال المنظور الخاص بالحقائق العلمية ككليات عامة يتحقق من يقينها بالاختبارات المادية المحسوسة . وبكّن هذا الجانب الفكرى يخضع فى التجربة إلى لون آخر من الصدق وهو الصدق الفنى ٩ . (٢)

وهذا الصدق الفنى ١٠ مره إلى مدى ما يكون من استجابة بين التجربة التى تتضمنها قطعة من الأدب وبين ما يحدث أو يقع للإنسان من تجارب واقعة بالفعل أو ممكنة الوقوع ١١ . (٣) فلا بد فى التجربة الشعرية الجيدة من شرط أساسى يتحقق وهو الصدق الفنى وبغير هذا الشرط يفقد الشعر قيمته الأدبية . ١٢ والمراد بصدق التجربة : أن يحسها الأديب بالفعل إحساساً يسيطر عليه ، ويدفعه دفعاً

١- د. شوكى ضيف فى النقد الأدبى ص ١٤٦ .
٢ - د. السعيد الورقى : لغة الشعر العربى الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية ، دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٣ ص ٦٣ .
٣ - د. محمد زكى العشريوى : قضايا النقد الأدبى ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٠ ص ١٥ .

إلى التعبير وليس المراد بصدق التجربة هذا الصدق الواقعي الذى يفرض أن يكون الأديب قد عاش فى الحياة الأحداث التى يعبر عنها ، أو عرف فى الواقع الأشخاص الذين يصورهم أو سمع بالفعل الحوار الذى يجريه ، وإنما المراد بالصدق الصدق الشعورى الذى يفعم وجدان الأديب .^(١)

وليس من الضرورى أن يعيش الشاعر التجربة بنفسه أو يدرك الأحداث بذاته وإنما المهم أن يفعل بهذه الأحداث ، ويتأثر بالفكرة والظروف ، وقد يعانى الشاعر التجربة دون أن يعيش واقعها ولكنه يفعل بها تخيلاً .

وموضوع التجربة إما أن يكون حدثاً من أحداث الحياة ، أو حالة نفسية خاصة ، أو موقفاً اجتماعياً أو إنسانياً أو سياسياً ، فموضوعات التجارب كثيرة وقد يكون الموضوع حين قليل القيمة . وقد يكون خطيراً ، ولكن تفاهة الموضوع أو خطورته لا أثر له فى قيمة التجربة ، لأن قيمتها تتوقف على درجة الانفعال والتأثر ولذلك يقول الدكتور غنيمى هلال : " الحق أننا لا نستطيع أن نخرج من نطاق الشعر التحارب التى موضوعها حين قليل القيمة . متى استطاع الشاعر أن يضىء عليهما من شعوره وتصويره وأخيلته القوية ما تنفذ به إلى ما فيها من معانٍ جمالية أو إنسانية ، ويقوة الملكة الشعرية يستطيع الشاعر أن يجد موضوعات للتجارب الصادقة فى كل ما حوله ، متى خلع عليهما من إحساسه ، وفاض عليهما من خياله ."^(٢)

وبهذا يتضح لنا أن التجربة الشعرية تجربة فنية تهتم بالانفعال الشعرى ووسيلة تجسيد هذا الانفعال هو اللغة بكل ما يتصل بها من ألفاظ وصور وخيال

١ - د. احمد هيكل فى الأديب واللغة ، ص ١٦ .

٢ - د. محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث ، ص ٣٨٧ .

وعاطفة وموسيقى ، كما أنها ليست مجموعته من المعاني المتناثرة يفرغها الشاعر في قوالب من الشعر كما يشاء ، وإنما هي كلٌ وجداني متماسك متناسق ، تتبادل أجزاؤه التعاون في التعبير عنه ، فلكل جزء دلالاته رخي دلالة ترتبط بالكل ارتباطا عضويا". (١)

عوامل مؤثرة في التجربة :

" قد يكون محرك التجربة ومثيرها ما عاشه الأديب وشارك فيه في الواقع كما قد يكون محرك التجربة ومثيرها ما قرأه الأديب أو سمعه ، كما قد يكون محرك التجربة ومثيرها ما تخيله الأديب أو تصوره ، والمهم في كل الحالات أن يحس في داخله إحساسا صادقا وأن ينأى تماما عن الكذب الشعوري والافتعال الذي لا سند له من صدق الوجدان". (٢)

وأول هذه العوامل وأهمها المرأة . فقد عرفها في وقت مبكر من حياته وكان أول ما خفق به قلبه ، حبه وهو دون العشرين من عمره لفتاة من أهل قريته كانت تكبره بسنوات قليلة .

ود هذا الحب كما يقول : " بمثابة الشرارة التي اندلعت في الهشيم كل صدق الحب وإخلاصه وتفانيه ، كل ترفعه وتعاليه ، كل عزته وأنفته ، كل اندماجه وتوحده . (٣) ولكن هذا الحب يصحومنه الشاعر فجأة على كابوس مخيف وجراح لا تلتئم ، لأنه بعد أن تَصل في نفسه ، وتمكن من قلبه ، وامتزاج بروحه وكيانه تصرمت حباله ، فقد تزوجت الحبيبة ، وحال زواجها دون وصالهما فرحلت عنه لكنها تركت ذكرياتها تنشب أظفارها في قلبه .

١ - دشولى ضيف : في النقد الأدبي ، ص ١٤٥ .

٢ - د. أحمد هيكل : في الأديب واللغة ، ص ١٦ .

٣ - حوار مخطوط أجريته مع الشاعر .

ثم كانت له بعد ذلك فى دمنهور تجارب عاطفية أخرى ، باءت جميعها بالفشل ، لكن كانت لهذه التجارب المحبطة أثر كبير على إنتاجه الشعرى ، حيث مدته بالكثير من القصائد ، صور فيها المرأة بأنها خادعة ومنافة ، تبطن غير ما تظهر ، ترتكب الفواحش وتدعى العفة . وعندما نتتبع علاقة يس الفيل بالمرأة من خلال شعره لا نجد إلا وجهها واحداً من وجوه العلاقة بين الرجل والمرأة وهو وجه الخيانة والغدر فى الغالب الأعم ، ومعنى ذلك أن لحظات السعادة والتوافق كانت قليلة ، بينما كثرت أوقات الشقاء والصد والهجران ، ولست فى حاجة إلى ذكر الشواهد من شعره لأدلل على ما أقول ، فسوف يأتى ذلك فى حينه عند الحديث عن الدراسة الموضوعية .

ومن هذه العوامل كذلك ، الفقر ، فلم يرث عن أبيه مالاً يجنبه أعباء الواجب وضرورات الحياة ، ولم تكن له وظيفة ولا لقب علمى يجعله يكتسب مكانة أدبية رفيعة ، فسعى إلى تحقيق ذاته عن طريق الشعر . وربما كان الفقر أيضاً من أسباب فشله العاطفى . فكثيراً ما يتطلب الحب نفقات مادية قد لا تكون فى استطاعة المحب ، فيحدث نتيجة لذلك فراق بين المحبين يصفون على أثره بعضهم بعضاً بالغدر والخيانة وعدم الوفاء .

تطور مفهوم (الشعر فى القرن العشرين) :

جاء القرن العشرون وقد أخذ الشعر فى التغيير نتيجة لتثقّف بعض الشعراء بالثقافة الغربية ، فأخرج شوقى سنة ١٨٩٨م الجزء الأول من ديوانه "الشوقيات" ، قدم له بمقدمة أبان فيها عن تصويره للشعر وعما ينبغى أن يكون

عليه.... وحاول أن ينزع عن نفسه بعض التقاليد ، وأن يقول الشعر بطريقة جديدة تتغير فيها بعض موضوعاته وبعض أساليبه محتفظاً بالإطار العام القديم".^(١) ونظم حافظ إبراهيم قصيدة بعنوان "الشعر" ابان فيها عن رغبته فى التجديد والاستفادة من الثقافة الغربية:^(٢)

أن يا شعر أن نفك قيوداً قيدتنا بها دعاء المحال
فارفعوا هذه الكمائم عنا ودعونا نشم ريح الشمال
ولكن" تهليل شوقى الكبير فى مقدمته لشوقياته بأنه سينحرف عن مجرى الشعر العربى لم يحققه إلا بأطراف أنامله كما يقول ، فلم ينزع منزعاً جديداً واضحاً... ومعنى ذلك أن البركان الذى أنذر بالثورة فى مقدمة الشوقيات لم يلبث أن هدا وأنطفأ فى صدره إلا قليل جداً".^(٣)

وفعل حاشداً مثل ذلك، فلم يجدد إلا فى أقل القليل، وسارت هذه المدرسة التى تضم غير شوقى وحافظ على الجارم ، ومحمد عبدالمطلب ، وأحمدالزوين ومحمد الأسمر ، وغيرهم من الشعراء المحافظين .

وهؤلاء اشعراء "يقول فى شعرهم ظهور شخصياتهم الفنية ظهوراً واضحاً بل تختفى ذاتيتهم فى نمار التقليد والمحاكاة".^(٤) وهذا ما نعاه عليهم أصحاب مدرسة الديوان .

ثم جاءت مدرسة الديوان ونزعت إلى التجديد متأثرين بما قرأوه فى الأدب الغربى والشعر الإنجليزى بصفة خاصة، وفهموا الشعر على أنه بوح وجدانى

١ - د.شوقى ضيف: شاعر العصر الحديث دار المعارف ، ص ٧٧ ، ٧٨ .
٢ - ديوان حافظ ، الهيئة العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ١٩٨٧ ، ص ٢٣٨ .
٣ - د.شوقى ضيف : شوقى شاعر العصر الحديث ، ص ٧٤ .
٤ - د.محمد عبدالمعنى خفاجى: النقد العربى الحديث ومذاهبه ، مطبعة الفجالة ، ١٩٧٥ ص ١٢٦ .

يعبر عن مكنون النفس الإنسانية أياً كانت ، " وأخذوا ينظّمون على مذهب جديد يلغى فيه شعر التهاني والمدائح والهجاء ، ويوضع مكان ذلك شعر التجربة التي تحدث حديث النفس وتصور حياة الناس وأحلامهم الداخلية وأوهامهم وخواطرهم العقلية".^(١)

ثم سائر أصحاب مدرسة الشعر الحر الديوانيين فى فهمهم للشعر ، ولكنهم أسرفوا فى اتجاههم الذاتى إسرافاً شديداً ، " وتعمقوا فى مسارب النفس حتى أوشك حديثهم أن يكون ألباناً ، وأطالوا الحديث عن آلام المجتمع والفرد".^(٢) وإذا كان الشعر قد انساق إلى تقليد الأقدمين عند شوقى وحافظ وأضرابهما ولم يخرج عن إطار الصورة العامة للشعر القديم فى صياغته ، فإنه على يد كل من الديوانيين وأصحاب الشعر الحر ، " قد رفع عنه أوزار الماضى ، ونضا عنه قيود التقليد ، وأصبح يخرج من أفواه قائله أصيلاً مرتبطباً بأنفسهم ارتباطاً وثيقاً".^(٣) مفهوم (الشعر عنديس) (الفيل) :

يرى يس الفيل أن الشعر تعبير عن مكنون النفس وخلجاتها ، وليس هذا فحسب ، ولكنه تعبير عن الوجدان الجماعى أوهو كما يقول : " الشعر تعبير واضح عن مشاعر صادقة ، وبلورة لكل ما يعتمل بالنفس الإنسانية ، وكلما كان الشعر رصداً واعياً لحركة المجتمع ورؤياً نافذة لما تستره الحجب عنا ، ثم معايشة التجارب بحميمية وإبرازها فى الإطار الذى يتسق مع جزئياتها ، كلما أشرف الشعر على الغاية ، وكلما حقق الهدف المنشود من المعاناة القاتلة".^(٤)

١ - د. شوقى ضيف : شوقى شاعر العصر الحديث ، ص ٨٢ .
٢ - المرض الوكيل : الشعر بين الجمود والتطور ، مطبع دار القلم القاهرة ، ص ٩٥ .
٣ - المصدر السابق ، ص ٩٥ .
٤ - مجلة الجزيرة عدد ٨١٣٠ يناير ١٩٩٥ ، ص ١٨ .

فهذا التصور لمفهوم الشعر عند يس الفيل يلتقى مع التصور العقادى للشعر" الذى يركز على الإحساس بالذات والاعتصام بالعبقرية الفردية من جانب وعلى الصدق الخارجى من جانب آخر". (١)

ويبدو أثر مفهوم العقاد للشعر واضحاً بقوة على شاعرنا ، فالعقاد كان علماً من أعلام الأدب الحديث ورائداً كبيراً من رواة . له آراؤه الفكرية التى أثرت فى عدد كبير من الأدباء .

ولا ريب فى أن يس الفيل قرأ ما كتبه العقاد من مقالات عديدة عن مفهومه للشعر؛ حيث كان يدعو إلى أن يكون الشعر تعبيراً عن ذات قائله وشخصيته . وشاعرنا يرى أن التعريف التقليدى للشعر بأنه الكلام الموزون المقفى لا ينظر إلى الشعر إلا من حيث إحكام القوافى والأوزان ، وهو بذلك لا يعبر تعبيراً صادقاً عن أثر التجربة الإنسانية ؛ حيث يفتقد الصدق الشعورى والتعبيرى فالشعر — أن يكون ملتزماً بالحالة النفسية والتعبير عنها .

وقول يس الفيل عن الشعر بأنه بلورة لكل ما يعتمل بالنفس الإنسانية مفهوم رومانسى أصيل، فهذه المقولة تفضى بصاحبها إلى فضاء الرومانسية الواسع حيث التغنى بعواطف الإنسان وآلامه وآماله ، وهو بهذا يؤكد الجانب الذاتى الذى يلتقى مع الجانب الرومانسى ، ومع ذلك تبقى هناك عناصر أخرى فى فكر الشاعر تثبت قدميه فى أرض الواقعية ويتضح هذا من قوله : إن الشعر رصد وإع لحركة المجتمع .

وبعد هذا العرض لمفهوم الشعر عند يس الفيل أستطيع أن أقول : إن شعره جاء مزيجاً من اتجاهات شتى لا تنتمى جذورها إلى مدرسة بعينها ، فنجد

١ - د. عبدالعزيز شرف: الرؤيا الإبداعية فى شعر الهمشوى ، دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، عدد ٤٦٠ ، ديسمبر ١٩٨٠ ، ص ٢٠١ .

له أشعاراً يحاكي فيها ابن زيدون ، أو حافظ إبراهيم ، أو محمود حسن إسماعيل أو كامل الشناوى ، وأخرى تموج بها بحار الرومانسية ، وأشعاراً تلامس الواقعية وإن لم تنغمس فى خضمها ، ومع ذلك فإن معظم شعره يندرج تحت الاتجاه الرومانسى وإن كان يس الفيل "لم يقصد الكتابة الإبداعية تحت لافتة الرومانسية كمذهب أو اتجاه لذاته ، فالمذاهب الأدبية حالات نفسية تشيع فى عصر من العصور فيصدر عنها الشعراء والكتاب ولكنها لا تصطنع". (١)

موقفه من التراث والحداثة :

قرأ "يس الفيل" ما تهيأ له من دواوين الشعراء القدامى ، فعرف من خلالها قوة الأساليب وصفاء الموسيقى، ومن ثم كان اعتماده على التراث كعامل أساسى فى تكوينه الثقافى ورافد غزير لتجربته الشعرية. والشاعر الحق كما يقول شاعرنا "هو الذى يتحد بقرائه ولا ينفصل عنه ، ثم ينطلق منه وبه إلى الآفاق الرحبة مواكباً للزمن الذى يحياه". (٢)

وإذا كان الشاعر قد اتكأ على التراث واتخذ وسيلة أساسية ضمن مكوناته ، كما كانت له تجارب جديدة فى تشكيل القصيدة، فكتب شعر التفعيلة ووظف الأساطير والشخصيات التاريخية والدينية باعتبارها تراثاً إنسانياً عاماً وله رأى فى الحدائث يختلف عن رأى أولئك الذين يغلبون شعرهم بالغموض والتعمية مدعين أن تلك هى الحدائث فى الشعر، فالتجديد عنده مرتبط بالأصالة كما أنه يرفض التجديد السطحى البتذل، وهذا الموقف للشاعر من التراث والحداثة لا نحكم له أو عليه الآن، ولكن سيترك للدراسة الموضوعية والفنية حتى يطبق على ما يقابله من شعر.

١ - د. أحمد زلط : دراسات نقدية فى الأدب المعاصر ، دار المعارف الطبعة الأولى ١٩٩٣ ، ص ١٩٠ .
٢ - حوار مخطوط أجرته مع الشاعر.